

خزائن المخطوطات في منطقة توات (ولاية أدرار) أهميتها وأبعادها التاريخية

الأستاذ عبد الله رزوقي
الجامعة الإفريقية أدرار

ملخص:

تعتبر المخطوطات من أهم ما توارثه أهل منطقة توات من إرث ثقافي وعلمي، فهو مرجع هام وأساسي في تحديد الظروف الحياتية لأهل المنطقة ومدى اهتمامهم بالعلم والعلماء. ودراستنا لهذا الموضوع تهدف إلى تسليط الضوء على أهمية هذا الإرث من خلال إحصاء وتعداد المخطوطات والمكتبات الموجودة على مستوى منطقة توات.

Résumé:

Le manuscrit est l'un des plus importants héritages culturels et scientifiques de la région de Touat, car il est un indicateur majeur des conditions de vie des populations des Ksours et leur attachement au savoir.

Nous tentons dans cette étude de faire la lumière sur l'importance de cet héritage et le nombre de manuscrits et des bibliothèques existante dans toute la région de Touat.

مقدمة:

تعتبر المخطوطات رصيذاً علمياً هاماً يظهر مراحل النمو والتطور في المجتمع القصورى (الواحي) خلال مراحل نشأته إذا ما استغل بطرق معاصرة وبعد حضارى ، مستمداً مقوماته من خلال التفكير في خلق مفكرة تربط مقومات المجتمع الماضية بأسسه الحاضرة، وإذا علمنا أن داخل المكتبات

العديدة مجموعات من الفنون التي كتبها أسلافنا، حيث ساعد الجو الهادئ الذي امتازت به المنطقة بعيدا عن الصراعات خلق أرضية الحركة العلمية من جهة ومن جهة أخرى أدت إلى تواجد ودعم طرق القوافل التجارية التي أصبح لها بعد حضاري هجن عادات وتقاليد المجتمع مما سمح له بربط علاقات مع كل القادمين إليه وخاصة بعد قدوم بعض العلماء إلى المنطقة الذين اشتغلوا بالعلم كما أن هجرة بعض العلماء إلى جهات مختلفة لطلب العلم وأداء فريضة الحج تفتح المجتمع على ثقافات متعددة أدت به إلى تكوين رصيد ثقافي وحضاري تجسد أساسا في مكتونات الخزانات ومنها العلوم الدينية والعلوم اللغوية والأدبية والاجتماعية والعلمية والفلاحية ، حتى نقلوا أن هناك من عمل عملية جراحية في توات وهو السيد الشيخ بن سيدي محمد البكري وذلك في أوائل القرن الثالث عشر الهجري. يقول السيد محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق في ترجمته شق على كبد رجل بعد أن سقاه سيكرانا فأخرج الداء وخاط الشق باختصار منه وقد بسط الكيفية بأكملها. (1)

لقد مرت المخطوطات بمناطق توات بعدة مراحل منها :

1_ مرحلة قدوم المخطوط :

وقد لعبت القوافل التجارية والرحالة من أبناء المنطقة إلى جهات مختلفة دورا أساسيا في جلب كميات كبيرة من المخطوطات ابتداء من القرن العاشر إلى منتصف القرن الثالث عشر ميلادي (2) وتمتاز هذه المخطوطات في هذه المرحلة بما يلي :

(1) محاضرة الشيخ محمد باي بلعالم الإمام المدرس بأولف ص (6) بعنوان لمحات من خلال المخطوطات التي لم تطبع عن علماء وأدباء توات . الأسبوع الثقافي (13-20) مارس 1980م

(2) .المخطوطات داخل الخزانات الشعبية ص (78) مرجع سابق و .أ. فرج محمود فرج إقليم توات خلال القرنين (الثامن عشر والتاسع عشر) ص 69

هرمها _ كثرة هوامشها _ استعمالها للحبر الأسود والأحمر
والأخضر _ كتاباتها على الورق الصيني _ تدوينها بالخط الرقعي والنسخي
والكوفي .

2_ مرحلة النسخ:

في هذه المرحلة لم تتوقف عملية جلب المخطوطات من طرف
الفعاليات المشار إليها بل تخصصت بعض المراكز في عملية النسخ واستعمال
السمخ المحلي الذي يحضر من الوسائل التالية:

قرن الغزل _ الودح _ زبل الغزل _ عسل _ النقيير

فتحرق هذه الأشياء لتكون السمغ المحلي الذي يشبه السمغ الصيني
من حيث اللون والأداء وقد امتدت هذه المرحلة من القرن الثالث عشر إلى
منتصف القرن الخامس عشر الميلادي (1) .

ولقد نشطت حركة النسخ والكتابة حتى أن المطلع على هذه
المخطوطات يجد في الكثير منها تحرير تاريخ الإنهاء من النسخ في أوقات
مختلفة فتارة يقول: فرغت منه سحراً وتارة منتصف الليل، الشيء الذي يدل
على أنهم كانوا يواصلون الكتابة ونسخ الكتب والمخطوطات ليل نهار (2) رغم
صعوبة الحصول على وسائل النسخ والكتابة .

3_ مرحلة التأليف :

وتبدأ هذه المرحلة في منتصف القرن الخامس عشر إلى القرن التاسع
عشر حيث اتسعت وظهرت المخطوطات في مختلف المناطق وخاصة
المخطوطات المحلية التي تمتاز بالشمولية لمختلف العلوم وخاصة في علوم

(1) المخطوطات داخل الخزانات الشعبية ص (78) مرجع سابق

(2) محاضرة الشيخ محمد بلقاسم لمحات من خلال المخطوطات التي لم تطبع ص (2)

القرآن وتفسيره ، وشرح خليل وعلوم جديدة محلية كعلم النوازل والفتيا في تواتر العلوم الأدبية والشعرية حتى ظهر النظم على بحر جديد من بحور الشعر كما سنوضحه في الفصل المقبل . كما ظهرت مؤلفات في العمران وتاريخ إنشاء القصور وكيفيات إحداثها .

كما ظهرت المناظرات ومحاورات العلماء والتي هي مدونة إلى اليوم والتي تبين قوة وذكاء المناظرين ودرجة التحكم المعرفي التي كانوا عليها. وفي شيوع وكثرة الفنون .

الوضعية العامة للمخطوطات داخل الخزانات الشعبية.

يجب التمييز بين المخطوطات فهي إما مخطوطات تابعة للزوايا أو المراكز أو مخطوطات تابعة للمدارس القرآنية والمساجد، أو مخطوطات تابعة للأشخاص حيث تناقلت لهم عن طريق الإرث وإما مخطوطات تابعة عن طريق الشراء

ولا شك أن الوضعية التي عليها المخطوطات غير كفيلة بحفظها وجمعها وترتيبها مع صعوبة العوامل المناخية والجوية وخاصة أضرار سنة (1985) مع الحفظ السيئ لها بالإضافة إلى قدمها مما يؤدي في الغالب إلى تلفها وضياع أجزاء كبيرة منها ⁽¹⁾ ولعل ملتقى سنة (2000) الخاص بالزوايا بين الواقع والآفاق قد سلط الضوء على هذه المسألة ورأينا كيف قام المختصون بشرح الكيفيات العلمية والطرق التقنية في حفظ وصيانة المخطوط ⁽²⁾ لمبادرة طيبة ورائدة والتي شاركت فيها وزارات ذات شأن وعلاقة وطيدة بالتراث التاريخي والحضاري للمنطقة وهي:

(1) المحفوظات داخل الخزانات الشعبية بتواتر وتيديكلت ص (80)

(2) ملتقى الزوايا المنعقد بأدرار في (ماي 2000)

وزارة الثقافة والاتصال _ وزارة الشؤون الدينية والأوقاف _ وزارة
 المجاهدين . وكذلك دعم مسالة حفظ المخطوطات ورعايتها الإعلان عن إنشاء
 المركز الوطني للمخطوطات بأدرار الذي سيكون له _ بحول الله _ دور رائد
 في خدمة هذا التراث العظيم والمكونات التاريخية التي ضاعت _ أحيانا _
 وتضيع نتيجة لعدم المحافظة عليها أو التعهد في نهبها وسرقتها وربما حرقها
 كما فعلها الاستعمار الفرنسي عند دخوله إلى المنطقة (1) .

أهم خزائن المخطوطات بتوات:

قبل الكلام في حصر المخطوطات ينبغي الإشارة إلى أنه لا يلزم من
 ذكر المخطوط أن يكون كتابا أو مؤلفا غير مطبوع بل إن أهل توات وإن
 شاركوا في حركة التأليف والإبداع خاصة في العلوم الدينية والعربية إلا أنهم
 كانوا ينسخون ويكتبون الكتب العريضة والمحتاج إليها بأيديهم حتى كتبوا
 المصاحف والأهيات في الحديث والتفسير والفقهاء وغيره ، ولذلك نجد ضمن
 قوائم الكتب والمخطوطات في مختلف الخزانات والمكتبات الشعبية مؤلفات
 معروفة ومطبوعة. ثم إن ذكرنا لهذه القوائم يدل دلالة واضحة على نوعية
 المراجع والمصادر التي كانت متداولة في الإقليم حيث تعتبر المكتبة الوسيلة
 الأولى والأهم في الحياة العلمية والفكرية .

أولا: جدول بأسماء خزائن المخطوطات وأسماء أصحابها ومكان تواجدها

الرقم	إسم الخزانة	صاحب الخزانة	مكانها	البلدية
01	خزانة المطارفة	أبناء عبد الكريم بن عبد الكبير	قصر المطارفة	المطارفة
02	خزانة قصر الشيخ	الشيخ إبراهيم عبد القادر	قصر الشيخ إبراهيم	أولاد سعيد

(1) المخطوطات داخل الخزانات الشعبية بتوات تيدكلت ص (80)

أولاد سعيد	زاوية الشيخ	الجوزي عبد الرحمان	خزانة أولاد سعيد	03
أولاد سعيد	قصر كالي	مولاي عبد الحاكم	خزانة كالي	04
تيميمون	قصر بادريان	الصوفي محمد سالم	خزانة بادريان	05
تينركوك	قصر تابلكوزة	بولغيتي عبد الكريم بن باحمو	خزانة تابلكوزة	06
تينركوك	قصر زاوية الدباغ	الدباغ أحمد بن محمد	خزانة زاوية الدباغ	07
أوقروت	قصر أوقروت	سيدي عومر	خزانة أوقروت	08
تمنطيط	أولاد سيدي وعلي	بكرابي الحاج أحمد بن القاضي	خزانة أولاد سيدي وعلي	09
تمنطيط	قصر تمنطيط	البكري أحمد	خزانة الشيخ سيد أحمد ديدي	10
تمنطيط	قصر اولاد علي بن موسى	محجوبي عبد العزيز	خزانة أولاد علي بن موسى	11
تمنطيط	قصر تمنطيط	البكري الجازولي	خزانة سيدي سالم	12
تسايب	قصر برينكان	باعزي عبد القادر	خزانة برينكان	13
تيمي	زاوية سيدي البكري	بكرابي محمد بن سالم الصافي	خزانة زاوية سيدي البكري	14
تيمي	قصر كوسان	شاري الطيب	خزانة كوسان	15
تيمي	قصر بني تامر	ميدوبي أحمد	خزانة بني تامر	16
تيمي	قصر باعبد الله	الوليد بن الوليد	خزانة باعبد الله	17
تيمي	قصر ملوكة	بلبالي عبد الرحمان ع.العزيز	خزانة ملوكة	18
بودة	قصر زاوية سيدي حيدة	جعفري محمد	خزانة سيدي حيدة	19
أدرار	قصر تينيلان	بن حسان أحمد	خزانة تينيلان	20
فنونغيل	قصر أعباني	سالم سالم	خزانة أعباني	21
سالي	قصر سالي	طاهري مولاي عبد الله	خزانة سالي	22
سالي	قصر باحو	بلحبيب عبد الرحمان	خزانة باحو	23
أنجمير	قصر أنجمير	عبد الرحمان عبد الكريم	خزانة أنجمير	24
أنجمير	قصر تيلولين	أولاد الحاج جعفري	خزانة تيلولين	25
زاوية كنتة	قصر زاوية كنتة	كنتاوي الحاج محمد	خزانة زاوية كنتة	26
أولف	أولف	الشيخ بلعالم محمد باي	خزانة بلعالم محمد باي	27
أقبلي	زاوية سيدي بو نعامة	عقبواي عزوز	خزانة أقبلي	28

أقبلي	قصر الساهل	بن مالك عبد الكريم	خزانة ساهل أقبلي	29
-------	------------	--------------------	------------------	----

ثانيا :نماذج من الخزائن ومحتوياتها:

خزانة كوسام نموزجا:

يطلق اسم الخزانة على المكتبة الشعبية التي بها المخطوطات ويبلغ عدد الخزانات المتواجدة في المنطقة (12) مكتبة على مستوى بلديات أدرار خاصة في المناطق التالية : كوسام _ تمنطيط _ بني تامر_ تسابيت وهذه نبذه سريعة عن واحدة من أهم هذه الخزائن ألا وهي خزانة كوسام لصاحبها الحاج الطيب شاري .

تقع هذه الخزانة ضمن بلدية تيمي في التقسيم الإداري ويرعى هذه المكتبة معلم القرآن السيد شاري الطيب وتحتوي هذه الخزانة على ما يزيد عن 100 مخطوط بعدما ضاع ما ضاع وهي في شتى أنواع الفنون كالفقه والقضاء والعقيدة واللغة والتفسير وعلوم القرآن .وفيما يلي قائمة باسم المخطوطات الموجودة داخل هذه الخزانة .

قائمة باسم المخطوطات الموجودة في الخزانة

الرقم	عنوان المخطوط	المؤلف	العدد
01	ايضاح الاسرار شرح بن بري	عبد الله بن مجراد	01
02	تقريب الوصول في علم الاصول	ابو القاسم ابن جوزي	01
03	قواعد الاصول	ابن السبكية	01
04	السلم في المنطق	عبد الرحمن الاخضري	01
05	شرح المرشد المعين	لابي يعقوب السملالي	01
06	المنبهة في المفاسد والبدع	لابي محلي	01
07	شرح المرشد المعين	لشيخ الاوجلي	01
08	كتاب لب اللباب	أبو عبد الله بن راشد	01
09	نسخة البخاري	/	04
10	القلوب والأرواح إلى مناجاة الفتاح	محمد بن عمر الغدامسي	01

01	أحمد علي المنجور	المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب	11
01	أبو العباس الونشريسي	كتاب إيضاح المسالك	12
01	العلامة ابو عبد الله الحطاب	كتاب ابن غازي إلى الرسالة	13
01	إبراهيم بن علي فرحون	تبصرة الحكام في أصول الأفضية	14
01	الشيخ زكرياء الأنصاري	كتاب المطلع شرح الياغوجي	15
01	محمد بن عمر ابن إبراهيم	السنوسية في التوحيد	16
01	أبو محمد بن يوسف	السنوسية في التوحيد	17
01	محمد بن عمر	القواعد الإسلامية والإيمانية	18
01	/	حديث بن القاسم مع مالك	19
01	/	كتاب أربعين حديث	20
01	أبو عبد الله ميارة	كتاب شرح ستان فكر المنهج	21
01	ابو محمد ابن احمد	الخفاف في التوحيد	22
01	/	ابن جوزي	23
01	للإمام ابن هاشم	قطر النداء وبل الصدى	24
01	أبو القاسم ابن سلمون	ابن سلمون في الوسائق	25
01	/	مسائل لأبي علي الحسن بن رحاب	26
01	/	نوازل سيد إبراهيم بن هلال	27
01	للشيخ سيد الحاج البلبالي	نوازل الغنية	28
01	سيد احمد بن عبد العزيز	الرحلة الهلالية	29
01	/	كتاب مبارك الابتداء ميمون الانتهاء	30
01	/	كتاب الزرقاني على خليل	31
01	/	المكودي على الاجرومية	32
01	/	الحطاب على ابن غازي	33
01	لزهير	قصيدة بانث سعاد وشرحها	34
01	الشيخ محمد بن الحسن البناني	الجزء الثاني من الفتح الرباني	35
01	التفتزاني	كتاب تلخيص المسمى بالمطول	36
01	/	كتاب نتائج الفكر في كشف أسرار المختصر	37
01	البوصيري	شرح البردة	38
01	للسيد عبد الرحمن بن عومر	الدرر المصون في إعراب القرآن	39

01	الحطاب	تحرير الكلام في مسائل الالتزام	40
01	/	غاية الأحكام في شرح تحفة الحكام	41
01	/	شرح القرآن الكريم	42
02	ابن عطية	تفسير ابن عطية	43
01	/	كتاب مجلس القضاء	44
01	احمد بن عبد الله اليرتيسي	شرح تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام	45
01	علي بن قاسم بن محمد	لامية الزقاق	46
01	ضياء الدين ابو عبد الله	شرح الخرجية	47
01	/	الحلبي في مدح النبي صلى الله عليه وسلم	48
01	لابن ابي زمين	كتاب المقرب لابن أبي زمين	49
01	بن عبد الكريم بن محمد	مسائل لمحمد الحسن بن سعيد	50
01	خالد الازهري	التصريح بمضمون التوضيح	51
03	الحطاب	الحطاب على خليل	52
ج5- ج6	احمد ابن يحيى بن محمد	نوازل المعيار	53
01	/	المصباح في اللغة	54
01	محمد بن أبي بكر الزجلوي	السر المغتبط في وقف الخمس	55
01	ابراهيم ابن حسن	كتاب معين الحكام	56
01	/	نوازل الايلاء والظهار واللعان	57
01	نسخة محمد بن الحاج حسن	كتاب البيوع على خليل	58
01	عبد الواحد بن احمد	كتاب فتح المنن المروي بمورد الضمان	59
01	أبو الاصبغ عيسى بن سهل	كتاب الاعلام بنوازل الأحكام	60
01	أبو الوليد هاشم	نوازل الحكام	61
01	أبو العباس احمد بن زيد	كتاب حلول	62
01	/	نوازل البرزالي	63
01	سيد احمد بن عبد العزيز	القاموس ورياضة الشموس	64
01	أبو عبد الله محمد بن عبد الله	كتاب تلقيح الألفاظ الجامع الصحيح	65
02	/	شرح لامية الأفعال	66
01	/	فتح اله في شرح بسم الله	67
01	الشيخ الزجلوي	شرح الزجلوي على خليل	68

01	جلال الدين السيوطي	كتاب النهجة المرضية	69
01	الاشموني	شرح الاشموني على الألفية	70
01	/	تلخيص المفتاح في البلاغة	71
01	لسيدي عبد الرحمن بن عمر	غاية الأمان في أجوبة الشيخ أبي زيد	72
01	/	نوازل الجنطور	73
01	/	الامليات الفاشية	74
01	لابن هشام	فتح الرب المالك على ألفية ابن مالك	75
01	لأبي غازي الكناسي	شفاء العليل في حل مقفل خليل	76
01	الدريدير	شرح الدريدير على خليل	77
01	لأبي زيد	متن الرسالة	78
01	/	شرح الرسالة	79
01	أبو مدين الكناسي	شرح أرجوزة السلام المروذق	80
01	/	كتاب إكمال فتح المقيت (فلك)	81
01	لأبي مقرع	شرح أبي سعيد	82
01	احمد بن علي المنصور	كتاب نظم الفرائد ومبدي الفوائد	83
01	لأبي عبد الله بن أبي زمنيين	الجزء الأول من منتخب الأحكام	84
01	/	كتاب عمد أهل التوفيق والتسديد	85

وقد أشرف السيد شاري الطيب على الخزانة منذ 1977 بأمر من الشيخ محمد بلكبير رحمه الله وقد طلب منه المحافظة على هذه الخزانة وأن يزيد فيها ولا ينقص ولا يخرج شيئاً من المخطوطات منها .

وقد فتح الله على السيد شاري الطيب فألهمه الله إعادة كتابة تلك المخطوطات النادرة حتى لا تضيع أو تؤثر فيها العوامل الطبيعية كالمطر والانهيار والزوابع الرملية والسرقة وغيرها .

فبدأ في إعادة كتابة المخطوطات منذ عام 1981 م وكان يسهر ليله وهو يكتب أحيانا إلى الصباح ولم يكن الخط الكهربائي قد وصل المنطقة فكان يضطلع بهذه المهمة ويكتب على ضوء الشمع أو القنديل .

وقد اشرف على كتابة 70 (سبعين مخطوطا) بنفس الطريقة القديمة وباستعمال الحبر الصيني والسجلات الضخمة وسنحاول إكمال هذا الجهد المتواضع بإحصاء الكتب المتواجدة في خزائن المنطقة بوضع بيبيوغرافيا لها حتى يسهل للباحث الاقتناء أو الاستفادة من المخطوطات ومعرفة مكانها .

كما كشف لنا النقاب على الصعوبات التي يجدها أصحاب الخزائن في سبيل الحفاظ على المخطوطات من عوامل الاندثار كالانهيار والسرقة والزوابع الرملية والمطر وغير ذلك .وضرورة أن يكون البناء الخاص بحفظ الكتب لائقا بهذا التراث التاريخي الفريد.

المصادر والمراجع :

- 01/ إقليم توات خلال القرنين الثامن والتاسع عشر الميلاديين د: فرج محمود فرج ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1977م.
- 02/ التعريف بمنطقة توات ، الشيخ محمد باي بلعالم ، مكتبة جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية أدرار .
- 03/ المخطوطات داخل الخزانات الشعبية بتوات وتدكلت ، محاضرة لمبروك مقدم (أعمال الملتقى الثاني للبحث الأثري والدراسات التاريخية أدرار 1994 م ، وزارة الثقافة الجزائر).